



الخميس 2 أكتوبر 2014 12:10 م

بقلم: محمد ثابت

أول عيد فطر بعد ما اصطلح على تسميته بثورة 25 يناير، أو (المقلب) الذي اسقينا المجلس العسكري .. وشربه قرابة 88 مليون مصري بجدارة، ففرحنا، وهللنا، وانتفضنا، كما العصفور بلله القطر، ولا أنسى كلمات نسيبي الغامرة الفرحة عن كون جيشنا ليس كجيش سوريا، وماذا نفعل له إن كان جيشاً وطنياً؟ ولذلك فإن الله تعالى يحبنا، يومها فقط قلت له إن الأمر لا علاقة له بحبة الله .. وأنه تعالى إن ابتلي السوريين فإنه لا يكرههم؟ وبقيت في النفس أسئلة؟

أول عيد فطر بعد الثورة هرولت مع اسرتي إلى مصر، وصليت العيد في القاهرة وسط أجواء احتفالية لم أر مثيلاً لها من قبل، ازدحم الطريق بالمصلين والمصليات، وتمددوا حتى أغلقوا الشارع الرئيسي في المنطقة، وجلجل صوت الإمام تقدموا فهو أول عيد يمر على مصر بعد اندحار الطاغية مبارك، ونريد ان نشارك في ثورتنا بالنظام، وأقسم الخطيب أنه جاء من المملكة العربية السعودية مباشرة إلى المصلى ليبري الله تعالى فرحته بالعيد، وأفاض في ذم نظام الطاغية مبارك، وذكر أنه كان ممنوعاً من العمل والخطابة في مصر بلده لولا ثورة جرت فيها دماء الشباب؟

كنت استمع في حبور شديد إلى كلمات الإمام، وأرصد نبض الفرحة في صوته، وقرب أبرز آثار مصر يختار العقل مني، هل يقدر الدكتور الفاضل قيمة المسؤوليات الملقاة على عاتق هذا الشعب بعد 25 يناير؟ هذه الأرض التي ارتوت فساداً .. هل الثورة ستسقيها العدل حتى تنطفئها .. ثم تعيد ريّها بالعدل في أيام لأن الثورة نجحت؟

وهل من استفادوا من الأنظمة القهرية سيصمتون؟ وهل شعبنا واع يستطيع التصدي والبناء؟

أثناء جريان معان ترجمتها كلمات محيرة كتبت بعضها وضاق الصدر حينها والآن بالبعض الآخر .. سعدتُ بتوزيع شباب الإخوان بلالين مرسوم على بعضها شعارهم؟ وتهان بالعيد، ولم أكن أتخيل ما يعده الطغاة للأيام المقبلة؟ عقب الخطبة ألتقيتُ عدداً من أصدقاء الصبا ومهد الشباب، العزيز د نبيل فولي وقد جاء من جامعته بباكستان، الجميل د محمد عادل وقد جاء من المملكة، المهذب د عيد الله يوسف وقد جاء من الكويت؟ شيء لا يصدق، وكنت في إجازة من عمل بدولة خليجية؟ بادرني د عادل سائلاً عن تهجمي فقلتُ بأن التحدي كبير .. فقال بسرور صوته الدائم، وبحته الواثقة؟ الله أكبر يا فلان؟

لحمة ورباط وطني نادرين؟

وأمال ما كان أعظمها لولا التفاف الذئاب على القطيع؟ للأسف كنا قطيعاً ..

كانت أخبار سوريا تحزن قلبي وتدميه، ومن بعيد كنتُ أشعر أننا بتخاذلنا سنعاقب، وكان الأصدقاء يفيضون في مدح جيشنا، وأنت بعد العيد أعياد؟ تسالت المرارة فيها وعبرها إلى الحلق، فترهل الشعور بالحيرة لما أطلت المنافسة على الحكم، ورأيتُ بلدي يتنازع مواقف لفسدة يحاولون العودة، وشرفاء يرون أنفسهم أهلاً للمسؤولية، ومع رغبتني الاستقرار في مصر، ومعارضة الأصدقاء ممن ابتهجوا بترشيح الشرفاء للرئاسة، كان فضاء الأسئلة يزداد رحابة داخل النفس، بل بدت أشعر بأن الحبل يلتف حول العنق فيما العين مغممة؟

ولما أعلن رسمياً عن ترشح الشرفاء ألتاع قلبي، وكتبت ذلك في حينها، ولست بالمحنك سياسياً، ولكني لاحظتُ أموراً أجلبها ما كان في شارع محمد محمود 1، و2.. وتعليقات الراغبين في الترشح أنفسهم، وكونهم مستهدفين؟ وهل يضع المستهدف نفسه أمام فوهة المدفع لينجو؟

وكان أخطر الخطر في عينيّ يومها، تركة الفساد والتسيب بل الأمية والجهل المنتشر في مصر؟ كيف سيقضون على كل هذا .. وبأي آلية؟

وكان ما كان؟

ورأيتُ كيف تبتلع الدولة السفيهة محاولات المضي بها نحو المستقبل، وتخبط الأيدي والعقول في المواجهة، بل عاصرت ما بعدها، والألم الهائل للناس كانت لهم في القلب منزلة، وما تزال لكثير من شرفائهم، ولكن صوتاً للمراجعة إن بدا يحزنون، ويقال إليك تسيء،

ورأيت ثورة على أنقاضها تنصب مغارف لنيل مصالح ضيقة، وبخاصة بعيداً عن الميدان، واحمد الله أن عافاني من الأمر ولو من بعيد، او قليل القليل من قليل

إن الكرة ما تزال في الملعب، وعذراً للتشبيه، لكنها بعيداً عن المرمى الذي تريد تسجيل هدف مبكر فيه فتأخر حتى توشك المباراة على الانتصاف، وإن تقصيراً ليس عن خيانة والعياذ بالله قد بدا من الصف وما يزال يستشري، وإن أقواماً بين جلدتنا همهم الأساسي مصلتهم، وإن سر البعض التعبير عنهم بكلمة البعض قلتها، وإن هؤلاء لا يراعون الله في الدماء التي تسقط أثناء الليل وأطراف النهار في مصر لنصرة قضية المفترض أن الساعين خلف مصالحهم الضيقة هم أول من ينصرونها، وإن إعلاماً ينبري بعض من يرون أنهم من رواده فيملئون الجو غباراً لئلا يروا، او حتى يقيموا لهم جزء من مأساة اليوم، وإن الثعالب الصغيرة التي أطلت برأسها للأسف في صف الشرفاء لتستحق التمهّل والدراسة بقسوة

إن في الصف، وفي قلب قلبه لمعوقين، إن أحسنا التعبير، واخترنا أفضل الكلمات، أما إن وصفنا الواقع كما ينبغي فإن خونة تسيدوا الموقف، مهما كان عددهم قليلاً، واستغفر الله تعالى من رمي جل الشرفاء بهذا الوصف، ولكن التجربة كانت مرة جداً، وإن وصف كل من يرتفع صوته بالإشارة إلى علل وأمراض بأنه خائناً أو شيئاً من هذا القبيل، مهما حاول الترفق في القول، لهو أكبر دليل على تعمق الجرح الفاسد في نفوس (البعض) ربما بحسن نية، وربما لا

ومن أعجب العجب ان ترى في صف الشرفاء الآن متكبر، بل ربما مسئول متكبر، للعقوبة التي توعدّها الله للمتكبرين من ناحية، ولحال الامة الذي لا يخفى على فطن من ناحية أخرى، وليت شعري كيف يحيا من يحمدون لأنفسهم أنهم لم يعتقلوا أو يستشهدوا أو يصابوا او يفصلوا من أعمالهم لاهم ولا أقاربهم ثم يتولون قيادة في الصف؟

إن التآمر على الشرفاء، وقد ابيت على نفسي أن أكتب اسماً صريحاً من فرط الألم النفسي الذي نالني من تعقيبات أناس أحبهم وأجلهم منهم لما نقلوا عن (البعض) فهمه لما كتبت من قبل، لا ما قلت، وما أكثر ما تنشر كلمات فيها من ظلال انفسنا على ما لا نحب من نقد، وأجمل ما يقال لك .. ليس هذا وقته ومضى وقته لا تجاب .. وقل عسى أن يكون قريباً .. جواب السكون ..

إن كلمتا .. (ما أجملنا) اليوم على لسان الأحياب من الشرفاء، لتكادان تهيان المعركة لغير صفهم من أسف، ومن لا يرى هذا فالشأن شأنه، ولن نصمت، ولو أحبوا صمتنا، ويقصي أحدنا نفسه بنفسه إن رأى الصف لا يرحب بكلمة حق يقولها في سبيل محبة الحق الذي هو اسم من أسماء الله تعالى لا محبة فصيل أو مجموعة أو جماعة، فإنما عرفناكم في طاعة الله تعالى، فإن ضقت اليوم بالهدف الأساسي ما أخرجناه لأجلكم، ما أجملنا .. لما تولينا فعدلنا، وقد حاولتم، ولكن من قال العدل أن تحكم في نفسك فقط، وأنت والى على الجميع، وتؤم فيهم فما تطاعنا ماذا كان علينا أن نفعل؟ ألا تتولوا الأمر، وألا تتولوا عنه، أي تتركوه، وابتغ بين ذلك سبيلاً، كان سينالها شفيق ويفعل هذا الذي يحدث، ومن قال لك أنك كنت ستنبئه مراده؟ ولماذا تستقل بقدرات نفسك؟ قل لي واحداً كان يصلح لها بعد خيانة أبو الفتوح؟ الأخير أنت من صغته، والسؤال تعجيزي في ذاته

تلك أسئلة وإجابات دارت على النفس مرات .. والحقيقة أن من يريد البناء لا يهرول في خطواته، بل يتأنى ويقدر ويهندس وينظم، وتكون له مراكز أبحاث تعينه، لا يسير على الدرب الوعر المظلم مكتفياً بأقل الزاد الدنيوي، ظاناً أن الله ناصر، وهو تعالى قادر .. ولكن أين الاخذ بالأسباب، لقد غاظني كلام

أساتذة أجلاء عقب الإنقلاب أنهم ينتظرون نصر الله، فيما هم يعيدون سيناريو يناير الذي نصره الجيش والجيش ليس معهم هذه المرة، ويقولون لك الله معنا ولو صح الامر لكان مع نبيه وما هاجر صلى الله عليه وسلم؟ إنها كلمات أتمنى أن ألقى الله تعالى بها خاصة لوجهه

حجم التحدي ضد شرفاء مصر بالتحديد كان كبيراً .. والتآمر كان خطيراً .. ولكن أخطأهم ضاعفت المصائب عليهم، وإنهم حتى الآن غير مؤهلين لا لفهم الموقف ولا تجاوزه، وإن الضيق بكل من يشير إلى فرجة قليلة ربما يرى النور ينبج منها لهو أكبر دليل على أن الحال سيطول .. ومن الشرفاء من هو غير هذا .. ولكن صوته في خضم أصوات تعلّي من نبراتها يتلمس الوصول ونتمنى أن يصل وحتى يحدث هذا .. أعيدوا حساباتكم يرحمكم الله تعالى، وكفى ما كان وما سيكون من متعجل القرارات دون روية

اللهم إنني أبرأ إليك مما فعل ويفعل العسكر بوطني .. ولا أبرأ إليك مما يفعل وفعل الشرفاء .. إذ إن الأمل منوط بهم ما يزال ان يغيروا ما سلكوا من طريق أو حتى يعدلوا .. فينالوا كامل رضاك ونصرك .. وما ذلك عليك يا قدير بعيد وهم أهل له .. ويومئذ نفرح بنصرك سبحانه .. ويومئذ يوم عيدنا الحقيقي يوم لا يقولون ما أجملنا